بسم الله الرحمن الرحيم

«الْبِيئَةُ هِيَ الرَّحِمُ الثَّانِي وَالْأُمُّ الْكُبْرَىٰ» ٢ جُمَادَي الْأُولَىٰ ١٤٤٧هـ

عِبَادَ اللهِ: أُوصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ؛ اسْتِجَابَةً لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَبْدَعَ الْكَوْنَ بِدِقَّةٍ بَالِغَةٍ، وَإِتْقَانٍ عَظِيمٍ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾. إِنَّهُ الْخَالِقُ الْبَدِيعُ ذُو الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَلَا خَالِقَ إِلَّا هُوَ، وَلَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ سِوَاهُ، قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَتَرَىٰ الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾، وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾.

عِبَادَ اللهِ: خَلَقَ اللهُ الْإِنْسَانَ وَاسْتَخْلَفَهُ فِي الْأَرْضِ؛ لِإِعْمَارِهَا وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، وَنَهَاهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَنِ الْإِفْسَادِ فِيهَا وَتَخْرِيبِهَا، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾.

وَمِنْ هَذَا الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ: قَطْعُ الْأَشْجَارِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ، أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ، وَجَوَّدَ إِسْنَادَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ حُبْشِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً صَوَّبَ اللهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ»، وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ فِي «سُنَنِهِ الْكُبْرَىٰ»، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بَعَثَ يَزِيدَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ إِلَىٰ الشَّامِ، فَمَشَىٰ مَعَهُ يُشَيِّعُهُ، قَالَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ: إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ مَاشِيًا وَأَنَا رَاكِبٌ. قَالَ: فَقَالَ: إِنَّكَ خَرَجْتَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنِّي أَحْتَسِبُ فِي مَشْيِي هَذَا مَعَكَ، ثُمَّ أَوْصَاهُ، فَقَالَ: لَا

تَقْتُلُوا صَبِيًّا، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا شَيْخًا كَبِيرًا، وَلَا مَرِيضًا، وَلَا رَاهِبًا، وَلَا تَقْطَعُوا مُثْمِرًا، وَلَا تُخْرِبُوا عَامِرًا، وَلَا تَذْبَحُوا بَعِيرًا وَلَا بَقَرَةً إِلَّا لِمَأْكَلٍ، وَلَا تُغْرِقُوا نَخْلًا، وَلَا تُحْرِقُوهُ.

وَمِمَّا يَضُرُّ بِالْبِيئَةِ: مَا يَتَسَاهَلُ فِيهِ بَعْضُ الْمُزَارِعِينَ بِلَا خَوْفٍ مِنَ اللهِ ﷻ، بِوَضْعِ الْمُبِيدَاتِ وَالْكِيمَاوِيَّاتِ فِي غَيْرِ وَقْتِهَا عَلَىٰ الْخَضِرَوَاتِ وَالْفَاكِهَةِ، بَلْ تَجِدُهُمْ إِذَا ارْتَفَعَتِ الْأَسْعَارُ يَضَعُونَ هُرْمُونَاتٍ قَاتِلَةً لِنُضْجِ الثَّمَرِ قَبْلَ مَوْعِدِهِ، مِمَّا يُسَبِّبُ الْأَمْرَاضَ الْفَتَّاكَةَ وَالْقَاتِلَةَ.

وَفِي الْمُقَابِلِ دَعَا النَّبِيُّ ﷺ وَلَوْ فِي أَشَدِّ الْأَحْوَالِ إِلَىٰ إِعْمَارِ الْأَرْضِ، أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّىٰ يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ»، وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ»، وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ، فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ، كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ».

وَيَتَفَقَّدُ النَّبِيُّ ﷺ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُومُ بِنَظَافَةِ الْمَسْجِدِ، فَافْتَقَدَهَا، فَسَأَلَ عَنْهَا، فَأَخْبَرُوهُ بِأَنَّهَا مَاتَتْ، فَذَهَبَ فَصَلَّىٰ عَلَيْهَا، أَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ فِي «سُنَنِهِ الْكُبْرَىٰ»، وَحَسَّنَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْمِشْكَاةِ»، وَبِنَحْوِهِ الشَّيْخَانِ عَلَىٰ الشَّكِّ -رَجُلٌ أَوِ امْرَأَةٌ-، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: فَقَدَ النَّبِيُّ ﷺ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَلْتَقِطُ الْخِرَقَ وَالْعِيدَانَ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: «أَيْنَ فُلَانَةُ»، قَالُوا: مَاتَتْ، قَالَ: «أَفَلَا آذَنْتُمُونِي»، قَالُوا مَاتَتْ مِنَ اللَّيْلِ وَدُفِنَتْ فَكَرِهْنَا أَنْ نُوقِظَكَ، فَذَهَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ قَبْرِهَا، فَصَلَّىٰ عَلَيْهَا وَقَالَ: «إِذَا مَاتَ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَلَا تَدَعُوا أَنْ تُؤْذِنُونِي».

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ الْأَرْضَ لَتُعْمَرُ بِالْإِصْلَاحِ فِيهَا، بِمَنْ يُنْشِئُ خَيْرًا، أَوْ يُنَمِّي خَيْرًا، أَوْ يَقْضِي عَلَىٰ شَرٍّ، فَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ حِكَايَةً عَنْ نَبِيِّهِ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا

تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

إِنَّ تَخْطِيطًا دَقِيقًا، وَجُهُودًا عَظِيمَةً تُبْذَلُ مِنْ وُلَاةِ أُمُورِنَا وَفَّقَهُمُ اللهُ، فِي كُلِّ الِاتِّجَاهَاتِ: عَسْكَرِيَّةٍ، وَزِرَاعِيَّةٍ، وَصِنَاعِيَّةٍ، وَتِجَارِيَّةٍ، وَثَرْوَةٍ سَمَكِيَّةٍ، وَغَيْرِهَا، فَمَعَهُمْ يَجِبُ أَنْ يَقِفَ أَهْلُ الْخَيْرِ وَالْبَذْلِ وَالْإِحْسَانِ -جَزَاهُمُ اللهُ خَيْرًا- بِإِنْشَاءِ الْمَشَارِيعِ الْكُبْرَىٰ فِي الْمُدُنِ وَالْقُرَىٰ وَالْبَوَادِي؛ لِخِدْمَةِ الْإِنْسَانِ فِي هَذَا الْوَطَنِ الْعَزِيزِ.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ الْأَرْضَ لَتُعْمَرُ بِنَبْذِ الْفَسَادِ وَالْإِفْسَادِ بِكُلِّ أَنْوَاعِهِ، وَأَشَدُّهَا إِفْسَادًا فِي الْأَرْضِ وُقُوعُ الشِّرْكِ فِيهَا، ثُمَّ ارْتِكَابُ الْكَبَائِرِ، كَقَتْلِ النَّفْسِ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَانْتِهَاكِ الْأَعْرَاضِ، وَأَكْلِ الْمَالِ الْحَرَامِ، وَالظُّلْمِ، وَنَشْرِ الرَّذِيلَةِ، وَتَدْمِيرِ الْمُمْتَلَكَاتِ، وَإِهْلَاكِ الزُّرُوعِ أَوِ الْمَوَاشِي وَالْحَيَوَانَاتِ وَالطُّيُورِ عَلَىٰ غَيْرِ الْوَجْهِ الشَّرْعِيِّ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ تَوَعَّدَ الْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾، وَتَأَمَّلْ -عَافَاكَ اللهُ- كَيْفَ يَسْتَرِيحُ الشَّجَرُ وَالْحَجَرُ بَلْ وَالْبِلَادُ كُلُّهَا مِنَ الْفَاسِدِ الْمُفْسِدِ الَّذِي يُهْلِكُ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ بْنِ رِبْعِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مُرَّ عَلَيْهِ بِجَنَازَةٍ، فَقَالَ: «مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ؟ فَقَالَ: «الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ، وَالْبِلَادُ، وَالشَّجَرُ، وَالدَّوَابُّ».

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: تُعْمَرُ الْأَرْضُ بِنَزَاهَةِ الْبِيئَاتِ مِنَ الْمُهْمَلَاتِ وَالْمُخَلَّفَاتِ، فَبِنَزَاهَتِهَا تَطِيبُ الْحَيَاةُ، وَتَصْفُو الْأَجْوَاءُ، وَتَصِحُّ الْأَبْدَانُ، وَتَجْمُلُ الْبُلْدَانُ، وَتَظْهَرُ بِالْمَظْهَرِ الَّذِي يَلِيقُ بِأَهْلِهَا الصَّالِحِينَ، وَلَقَدْ جَعَلَتْ شِرْعَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ السَّمْحَةُ مِنَ الثَّوَابِ الْجَزِيلِ لِمَنْ شَارَكَ فِي التَّنْزِيهِ وَالتَّنْظِيفِ، مَا تَتَسَابَقُ إِلَيْهِ الْأَنْفُسُ الطَّيِّبَةُ التَّوَّاقَةُ إِلَىٰ الْمُكْرَمَاتِ، وَالْفَوْزِ بِالْجَنَّاتِ، فَعَدَّ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ مِنْ شُعَبِ الْإِيمَانِ، أَخْرَجَ

مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ».

عِبَادَ اللهِ: بِقَدْرِ مَا يَفْتَخِرُ الْمُوَاطِنُ الْمُحِبُّ لِبَلَدِهِ بِمُنْجَزَاتِهِ الْعَظِيمَةِ، عَلَىٰ أَيْدِي الْمُخْلِصِينَ الْبَاذِلِينَ، بِقَدْرِ مَا يَحْزَنُ مِنْ أَقْوَامٍ لَا يُقَدِّرُونَ هَذِهِ الْعَطَاءَاتِ وَالْمُنْجَزَاتِ، فَلَا يُقِيمُونَ لَهَا وَزْنًا، وَيَظْهَرُ ذَلِكَ فِي تَصَرُّفَاتِهِمْ غَيْرِ اللَّائِقَةِ، إِمَّا بِالْفَتْكِ بِالْأَنْفُسِ وَتَخْوِيفِهَا، وَتَدْمِيرِ الْمُمْتَلَكَاتِ وَتَفْجِيرِهَا، أَوْ بِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ رَمْيِ الْمُهْمَلَاتِ وَالْمُخَلَّفَاتِ فِي الشَّوَارِعِ وَالطُّرُقَاتِ، وَالتَّكَاسُلِ عَنْ أَنْ يَضَعُوهَا فِي سِلَالِهَا الْمُعَدَّةِ لَهَا، أَوِ الْكِتَابَةِ عَلَىٰ الْجُدْرَانِ، أَوْ تَرْكِ بَقَايَا الْأَطْعِمَةِ وَمُخَلَّفَاتِهَا مَرْمِيَّةً فِي الْأَمَاكِنِ الْعَامَّةِ وَالْحَدَائِقِ؛ لِلْحِفَاظِ عَلَىٰ الصِّحَّةِ الْعَامَّةِ، وَالذَّوْقِ الْعَامِّ، وَإِسْعَادِ النَّاسِ وَإِبْهَاجِهِمْ، وَقَدْ بُذِلَتْ فِي سَبِيلِ ذَلِكَ الْأَمْوَالُ الطَّائِلَةُ، وَالطَّاقَاتُ الْكَبِيرَةُ.

إِنَّ دِينَنَا الْحَنِيفَ جَاءَ بِمَقَاصِدِ النَّزَاهَةِ وَالنَّظَافَةِ وَالْجَمَالِ، وَحِفْظِ الْحُقُوقِ كُلِّهَا، مِنْ حِفْظِ الْأَنْفُسِ، إِلَىٰ حِفْظِ الْمُمْتَلَكَاتِ وَالْأَمْوَالِ، وَالْأَخْلَاقِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: مِنَ الْمَعَانِي الْجَمِيلَةِ، وَالْقِيَمِ النَّبِيلَةِ، وَالْأَخْلَاقِ الرَّفِيعَةِ السَّامِيَةِ، الَّتِي اهْتَمَّ بِهَا دِينُنَا الْإِسْلَامِيُّ، وَبَزَّ بِهَا غَيْرُهُ مِنَ الْأَدْيَانِ: النَّظَافَةُ الْعَامَّةُ، وَالَّتِي تَشْمَلُ نَظَافَةَ الْإِنْسَانِ الْخَاصَّةِ، وَنَظَافَةَ الْبِيئَةِ وَالْمُجْتَمَعِ الْعَامَّةِ؛ بَلْ يُعَدُّ الْإِسْلَامُ دِينَ الطَّهَارَةِ وَالنَّظَافَةِ بِأَشْمَلِ مَعَانِيهَا، حَيْثُ حَرَصَ عَلَىٰ نَظَافَةِ الْعَقِيدَةِ مِنَ الشِّرْكِيَّاتِ وَالْخُرَافَاتِ، وَالشُّبُهَاتِ وَالْأَبَاطِيلِ، وَنَظَافَةِ الْقَلْبِ مِنَ الْغِلِّ وَالْحَسَدِ، وَالْحِقْدِ وَالْكُرْهِ، وَالْبُغْضِ وَالِاحْتِقَارِ وَالْكِبْرِ، وَنَظَافَةِ الْأَخْلَاقِ مِنَ الْفَوَاحِشِ وَالرَّذَائِلِ بِأَشْكَالِهَا، وَكَذَلِكَ طَهَارَةِ الْأَمْوَالِ مِنَ الْحَرَامِ وَالشُّبُهَاتِ، وَنَظَافَةِ اللِّسَانِ مِنَ الْفُحْشِ وَالشَّتْمِ وَالْكَلَامِ الْبَذِيءِ، وَنَظَافَةِ الْبَدَنِ وَالثِّيَابِ مِنَ الْأَوْسَاخِ وَالْأَقْذَارِ، إِضَافَةً إِلَىٰ الْحِرْصِ عَلَىٰ نَظَافَةِ الْبَيْتِ وَالْمَسْجِدِ، وَالطَّرِيقِ وَالْأَمَاكِنِ الْعَامَّةِ.